المستـدركُ عَلَـى دِيـْـوانِ
(نُوْحُ العَنْدَلِيْبِ)
لشَاعرِ الشَّامِ(شفيقٌ جبري)

إعداد

د./ سلطان بن سعد السلطان

كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحريملاء

المجلة العلمية لكلية التربية للطفولة المبكرة ـ جامعة المنصورة

المجلد الثامن ـ العدد الأول

يوليو ٢٠٢١

المستـدركُ عَلَـى دِيـْـوانِ
(نَوْحُ العَنْدَلِيْبِ)
لشَاعرِ الشَّامِ(شفيقٌ جبري)

د./ سلطان بن سعد السلطان*

مقدمة:

تفيُد المستدركاتُ على بعضِ دواوينِ الشُّعراءِ المعاصرينَ، فـــي اســـتكمالِ الصورةِ العامةِ للشّاعرِ، وتُلقي الضَّوءَ على بعضِ مواقفهِ من الأحـــداثِ الـــسياسية والاجتماعية.

وقد جُمعتْ في العصرِ الحديثِ عِدَّةُ مُستدركاتٍ على دواويـــنِ بعـــضِ الشعراءِ المُعاصرين؛ فقد أصدرَ محمدُ صبري مستدركًا على ديوانِ أحمدَ شوقي أسمَاه: (الشوقيات المجهولة)، صدرَ في مُجلّدينِ، وجمعَ حسن توفيق فائتَ ديوانِ إبراهيم ناجي في كتابه: (إبراهيم ناجي، قصائد مجهولة،)؛ وقامَ عبدالله ســـرور عبدالله بجمعِ ما لم يُطبع من شعرِ خليل شيبوب في الجزءِ الثَّاني مـــن رســـالتهِ للماجستير وعنوانها: (أشعار لم تنشر للشاعر خليل شيبوب).

وجَمعتْ غادة أحمد بيلتو ما لم يُطبع من شعرِ عبـــدالكريم الكَرْمـــي (أبـــو سلَمى)، وجعلتْ عنوانَه: (الّديوانُ الآخرُ لأبي سلَمى – أشعارٌ لم يَتـــضمَّنْها ديـــوانُ الشّاعر).

* كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحريملاء

وأصدرَ هاشم عثمان كتابه: (عمر أبو ريشة ــ آثار مجهولة).

كما قمتُ بعملِ مستدركٍ على ديوان عبدالحميد الدِّيب؛ إلى غير ذلك.

ومن أسباب خلوِّ بعض الدواوين من إنتاج أصحابها، أنهم يبعثون بقصائدهم المخطوطة إلى الصحف والمجلات، دون احتفاظٍ بأصولها، وتُنْشَرُ وقتها، ثم تضيعُ القصيدةُ بعد ذلك في خضمِّ الأعدادِ المتراكمةِ من تلكَ الصحيفةِ.

ومن الأسبابِ أيضاً تَحفُّظُ الشّاعرِ على بعضِ قصائدِه، إنْ كانتْ تُعبِّرُ عن موقفٍ سياسيٍّ معيَّنٍ، أملتْهُ ظروفُ ذلكَ الموقفِ.

وفي هذا البحثِ استدركتُ بعضَ القصائدِ الّتي لم ترِدْ في ديوانِ شاعرِ الشّامِ شفيق جبري (نوح العندليب) الذي طُبِعَ عقيبَ وفاتِه سنةَ ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، وتولّى ترتيبَه وتبويبَه وشرحَه الأستاذُ قدري الحكيم. وقام مجمع اللغة العربيّة بدمشقَ بطبعهِ في نسخةٍ جميلةٍ، صدرتْ في أربعِ مئةٍ وسبعَ عشرةَ صفحةً شاملةً المقدماتِ والفهارسَ، وحوى أربعاً وثمانين قصيدةً.

وفي عام ١٤١٥هـ-١٩٩٥م نَشَرَ د. عبدالله بن سليم الرّشيد رسالتَه الماجستير، وعنوانُها (رجل الصّناعتينِ. . شفيق جبري)، وعقد فصلاً من فصولِها لفائت الديوان، استدركَ فيه بعضَ القصائدِ والمقطوعاتِ والأبياتِ الّتي لم ترِدْ في ديوان (نوح العندليب).

وقد عثرتُ على بعضِ القصائدِ الّتي لم ترِدْ في المصدرين السّابقين، أَوْ وَرَدَ بعضُ أبياتها في استدراك د. عبدالله الرّشيد، فأثبتُها في هذا البحث، وقمتُ بعزوِها إلى مصادرِها الصّحفيّة الّتي نشرتْها آنذاك.

كما قمتُ بإثباتِ بعضِ الفروقاتِ الموجودةِ في المصادرِ الصّحفيّةِ

مخالفةً لما في الدّيوان، وكذلك أضفتُ بعضَ الأبياتِ الّتي سقطتْ من بعضِ القصائد.

والشّاعر شفيق جبري من مواليدِ دمشقَ سنةَ ١٨٩٨م، تَعَلَّم في مدارسها، وتَقَلَّدَ عدّةَ أعمالٍ في عهد الحكومة العربيّة، وفي سنة ١٩٢٠م عُيّن عضواً في الجامعة الأدبيّة التي أسّسها الملكُ فيصل، وفي سنة ١٩٢٦م انتخبَ عضواً في المجمع العلميّ العربيّ بدمشقَ، وفي سنة ١٩٤٧ عُيّن عميداً لكلية الآداب في جامعة دمشق حتّى تقاعد سنة ١٩٥٨م.

توفي سنة ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م[١]

مدخل عام للقصائد:

المطالعُ لديوانِ الشّاعرِ السوريّ (شفيق جبري) يجدُ كثيراً من قصائدهِ تتّقدُ بالعاطفةِ الجيّاشةِ نحوَ أمّتهِ العربيّةِ، ويشعرُ بكمدهِ وحزنهِ لها آلَ إليهِ حالُها منْ ضعفٍ وهوانٍ بعدَ أنْ كانتْ في القديمِ تتبوّأُ مكانةً عاليةً بينَ الأممِ، وكانتْ قائدةً وملهمةً لغيرِها.

فلما جاءَ العصرُ الحديثُ تكالبتْ عليها دولُ الاستعمارِ، وأناختْ بجيوشِها

(١) انظر ترجمته- مقدمة ديوانه (نوح العندليب) إعداد وشرح: قدري الحكيم- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ص٧. ــ الشعر الحديث في الإقليم السوري – د. سامي الدهان – جامعة الدول العربية ١٩٦٠م

– الشعراء الأعلام في سورية – د. سامي الدهان – دار الأنوار – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

– رجل الصناعتين شفيق جبري – د. عبد الله بن سليم الرشيد – مكتبة التوبة – الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م – – شفيق جبري شاعر الشام عبد اللطيف الأرناؤوط ــ دار عكرمة – دمشق ــالطبعة الأولى ١٩٩٨م.

وعملائِها على صَدْرِها، واستولتْ على مقدّراتِها، فأَضْحَتْ فريسةً لاتملكُ من أمرِها حَوْلاً ولا قوّةً.

كلُّ ذلكَ دفعَ كثيراً من الشّعراءِ ـــ ومنهم شاعرُنا (شفيق)ـــ إلى النّظرِ في هذا الواقعِ المريرِ ومحاولةِ استنهاضِ الهممِ والعزائمِ للتغلّبِ على هذا الواقعِ، بالقصائدِ الجَزْلةِ الممتلئةِ بحرارةِ العاطفةِ، ووَقْدَةِ الانفعالِ، حتّى تستعيدَ الأمّةُ العربيّةُ مجدَها وعزّها.

وقد دُرِسَ ديوانُ (نوح العندليب) دراساتٍ مختلفةً، ذكرتُ بعضَها في الهامشِ السّابقِ، وسوفَ أستعرضُ قصائدَ هذا المستدركِ استعراضاً سريعاً، مُبيّناً أهمَّ المضامينِ الّتي تناولتَها.

ففي القصيدةِ الأُولى منْ هذا المستدركِ أبانَ الشّاعرَ أنَّ القوّةَ الماديّةَ هي الّتي تحوطُ عرشَ المُلكِ وتحفظُه، وتحميهِ منْ الأعداءِ، ولايكونُ ذلكَ بالآمالِ والوعودِ السياسيّةِ الكاذبةِ:

يَبني الملوكُ على الآمالِ عرشَهُمُ وللسّياسةِ تهديمٌ وتخريبُ

والعرشُ إنْ لمْ يُؤشّبْ بالسّيوفِ فَما يُنجيهِ بالأملِ الخلّابِ تأشيبُ

ويؤكّدُ شفيقُ أنّ المُلكَ ليس بالتوسّعِ الميدانيّ، وضمِّ الأقطارِ الشّاسعةِ، ولكنّ المُلكَ الحقيقيَّ، يحتاجُ إلى سياسةٍ راشدةٍ وتدبيرٍ وحِنكةٍ وحُكمٍ عادلٍ، حتّى تنتظمَ أمورُ الممالكِ وتستقيمَ

ما المُلكُ فتحُ بلادٍ لا حدودَ لها وإنّما الملكُ تدبيرٌ وترتيبُ

ويلتفتُ الشّاعرُ إلى النّزاعاتِ العربيّةِ على الحُكمِ، فيدعو المُتَنازِعينَ إلى

تحكيمِ صوتِ العقلِ، وتغليبِ جانبِ المصالحِ؛ فكَفى العربُ تشتتاً وفُرقةً وتمزّقاً:

إنْ كـــانَ رأيكُـــمُ تـــأليفَ فُرقتِنـــا على اللّيالي، فـــاللأراءِ تـــصويبُ

لقدْ سئِمنا شـــتاتَ العُـــربِ قاطبـــةً فإنْ عَقلتُم، فَصَدْعُ العُربِ مَرْؤوبُ

والتاريخُ زاخرٌبالعبرِ بالعظاتِ والتّجاربِ، فلمـــاذا لا نـــستنيرُ بـــضوئِه، ونقتبسُ من نورِه ونستلهمُ عبرَه:

مرّتْ بِنا عِبَرٌ، والـــدّهرُ يَخلـــسُها فلمْ تُهـــذّبْ حَواشِـــينا التّجاريـــبُ

بِتْنا نُصدّقُ تزويـــرَ المقـــالِ ومَـــا يَهُمّنـــا فيـــهِ تمحـــيصٌ وتَـــشذيبُ

ويتساءلُ الشّاعرُ: لمْ التقاتلُ بينَ أبناءِ الأمّة الواحدةِ، الّذينَ يربطُهم رباطَ العرقِ والعروبةِ:

فيمَ التقاتـــلُ والأنـــسابُ تَنظمُهـــا فكلُّ حيٍّ إلـــى قحطـــانَ منـــسوبُ

ثُمّ تَمَنّى شفيقٌ أنْ يخرجَ منقذٌ للعربِ، يجمعُ شتاتَهم ويلمُّ شعثَهم، تتـــوفرُ فيه صفاتُ الزّعامةِ، يعيدُ للعربِ عِزَّهم ومجدَهم، فيرهبُهم الأعـــداءُ ويخـــشونَ بأسَهم، يسعى إلى توطيدِ حكمِهم، ويبذلُ نفسَه وجهدَه ووقتَه في سبيلِ ذلك.

رَحّبْ بِمَنْ يجمعُ الشّملَ الشّتيتَ ومَا بغيرِهِ في رُبـــوعِ الـــشّامِ ترحيـــبُ

المُنْـــشِيءُ العَلَـــمَ الخطّـــارَ يبـــسطُه علـــى الـــدّيارات تَجنيـــدٌ وتكتيـــبُ

الجاعلُ العُرْبَ في عِزٍّ وفـــي دَعَـــةٍ ما يستطيلُ علـــى أوطـــانِهم ذيـــبُ

التاركُ النّومَ فـــي توطيـــدِ عثـــرتِهم مَنْ عُمْرِه في سبيلِ العُرْبِ موهـــوبُ

رَحّبْ بِمَن لــمْ تلــدْهُ بعــدُ والــدةٍ فَهُو الجنينُ عنْ الأبصارِ محجــوبُ

ولكنّ هذا الزّعيمَ لم يولد بعدُ، فهو جنينٌ يُنْتظرُ أن يخــرجَ مــن رحــمِ التّاريخِ.

وأمّا القصيدةُ الثّانيةُ فموضوعُها في الحنينِ والاشــتياقِ، جَــارَى فيهــا صديقَه الشّاعرَ بدويِّ الجبلِ، الّذي تغرّبَ عن بلدهِ دمشقَ، وفي أثناءِ تلك الغربــةِ حنّ إلى ربوعِها وجبالِها وأريافِها وغوطتِها وبساتينِها، فنظمَ قصيدةً جميلةً، أبانَ فيها عن عواطفِه وحنينِه؛ فتجاوبَ معه الشّاعرُ شــفيقُ جبــري، فكتــبَ هــذه القصيدةَ، أودَعَها مشاعرَه الجيّاشةَ نحو صديقِه ووصفَ معاناتَه، وذكــرَ لــه أنّ صحابَه الّذينَ خلّفهم في دمشقَ يبكونَ شوقاً إليه:

يــا نَائِحــاً خَلْــفَ العُبــابْ أدمــوعُ عينِــك أمْ لُهَــابْ

رِفْقــاً بقلبِــك أنْ يَــذُوبَ وقَلْــبِ رَبْعِــكَ أنْ يُــذَابْ

ضَــنِيَ الــصّحَابُ مِــنْ الحَنِــينِ أمَــا حنــوتَ علــى الــصِّحَابْ

ويُسائِلُ شفيقٌ صاحبَه؛ متى يعودُ إلى دمشقَ ذاتِ التّاريخِ العريقِ والمجدِ الأثيلِ؟ ألمْ يشتقْ إلى ربوعِ الغُوطَتينِ، وجمالِ طبيعتِهما، وروعةِ مشاهدِهما:

مُلَّ المُقامُ ــ وما يُملّ مقامُه– فمتى الإيابْ

مــا العاصــفاتُ علــى الــسّما ومــا الثّلــوجُ ومــا الرِّبــابْ

مِــلْءُ العيــونِ الغُوطتــانِ عليهمــا لــينُ الجَنَــابْ

أيشوقُه منْ آلِ جَفْنَةَ فيهما ظِلٌّ مُهابْ
فمتـــى يطـــوفُ العنـــدليبُ عليهمـــا طـــالَ الغِيـــابْ

ثُمّ يُبيّنُ الشّاعرُ أنَّ صحبَه كباراً وصغاراً لو اســتطاعُوا الرّحيــلَ إليــهِ لفَعلُوا، ولكنّ القيودَ المفروضةَ تمنعُهم:

لـــو تـــستطيعُ هـــوتْ إليـــكَ شـــيوخُ ربعِـــكَ والـــشَّبابْ
حَـــبَسَ الخُطـــا عـــنْ زحفِهـــم قيـــدٌ يَنُـــوْءُ بـــه الـــصَّعابْ

ثُمَّ يوضّحُ الشَّاعرُ حالَ سوريّةَ بعدَ الحربِ العالميّةِ الأُولَى، فآثـارُ تلـكَ الحربِ الّتي أعْقبَتْها أَلقتْ بِظِلالِها على أكنافِ دمشقَ فأضحتْ يباباً خراباً، وخيّمَ الحُزنُ على أهلِها:

يا ويحَ جِلَّقَ ما تُعانِي الغُوطتانِ مـــن العَـــذابْ
الفجرُ مُضطربُ الضُّحَى واللّيلُ مسودُّ الخِضابْ
تُمسِي وتُصبحُ لا ابتسامَ على الثّغورِ ولادعـــابْ

وفي حُرقةٍ شديدةٍ وألمٍ ممضٍ، يبكي شفيقٌ دمشقَ الّتي عاثَ الغزاةُ فيهـــا وأفسدُوا، وما سَلِمَ منْ بطشِهم الأطفالُ ولا النّساءُ، الّذينَ غَلبَهم الشّجَى، وأَمَضّتْهُم الأحزانُ وهزّتْهُم الفواجعُ.

فكأنَّما شَبَحُ الخَرابِ يَلُوحُ من أفـــقٍ قِـــرابْ
دَخَلَتْ بَلايا الدَّهرِ رَبْعَ أميَّةَ منْ كـــلِّ بـــابْ
طِفْلٌ يَذوبُ من الشُّجُونِ وطِفْلةٌ تَشكو العَذابْ

ثُمَّ أخذَ الشّاعرُ يتذكَّرُ الماضيَ المشرقَ لبلاده، عندَما كانتْ دمشقُ حاضرةَ العالمِ الإسلاميِّ، يخضعُ لسلطانِها كثيرٌ منْ أرجاءِ المعمورةِ:

أَيْنَ القصورُ ومَنْ تبخترَ بَيْنَها أينَ الكِعَابْ

أينَ الّذينَ إذَا مَشَوا مَشَتِ الجِبَالُ معَ الرِّكَابْ

دَوّتْ بِكَ الدُّنيا فماجَ دَوِيُّ صَوْتِكَ كالعُبَابْ

ويُغَلّبُ الشّاعرُ في آخرِ القصيدةِ التشاؤمَ، فَلا صوتَ يُجيبُ ولا صدًى يَتجاوبُ، ولمْ يَبْقَ إلّا الغِرْبَانُ تُنْذِرُ بالشُّؤمِ، وتَنْعِقُ في حِمَى الوطنِ:

نَعَقَ الغرابُ فليسَ تَسْمَعُ غيرَ تِنْعَاقِ الغُرَابْ

وفي ختامِ القصيدةِ يعودُ الشَّاعرُ إلى نَفسِهِ فيذكرُ أنَّ الدُّموعَ الّتي سَكَبَها هِي نَزْفُ الفُؤادِ، وليستَ نَزْفَ الدُّموعِ:

ليستْ دُمُوعاً ما سَكَبْتَ شِغَافُ قَلْبِي في انْسِكَابْ

وفي القصيدةِ الثّالثةِ (عَلَمُ العروبةِ) يبكِي الشّاعرُ مجدَ العربِ الّذي أَفَلَ، و شمسَهم الّتي غَرَبَتْ ، فَحَلّ بهم الذُّلُّ، ونَزَلَ بهم الوَهَنُ فلم يَعُدِ العربيُّ عربيّاً يأنفُ الهوانَ ويَأبَى الضَّيمَ، فقد تغيَّرتْ طباعُه، وتبدّلتْ أخلاقُه؛ حتّى تسلّطَ عليهِ أعداؤُه.

مَجْدُ العروبةِ أقفرتْ عَرَصَاتُه والضَّيمُ حلّ بهِ، فأينَ أُبَاتُه

جُرْحٌ بسيفِ البَغْيِ، أَلّمَ وَقْعُه كَبْدَ الحياةِ، فأينَ عنهُ أُسَاتُه

لَهْفِي على العربيِّ، كيفَ تَغَيَّرتْ أخلاقُه، فَعَدَتْ عليهِ عِدَاتُه

ثُمّ شخّصَ شفيقٌ هذا الداءَ العُضْالَ، فذكرَ أنّ سببَه الركونُ إلى العــدوّ، والوثوقِ إلى وعودِه والاستنامة إلى أقوالِه:

هل يَبلغُ الــوطنُ المُفــدَّى حقّــه وإلى بنيــهِ مــن البَنــينَ شَــكَاتُه

أيُــشَادُ مَعْهَــدُ عِــزّه، وزِمَامُــه بيــدِ العــدوِّ، وهَــادِموهُ بُنَاتُــه

ولم يُغْفِلِ الشّاعرُ علاجَ هذا الواقعِ المُرِّ، فعلاجُه الاعتمادُ علــى القُــوّةِ المَعنويّةِ والمَادِيّةِ، وهذهِ القوّةُ هي الّتي تُرْهِبُ الأعداءَ وتَكُــفُّ شَــرَّهُم وتَكْــبَحُ جِمَاحَهُم:

لا يَــسْتقلُّ الــشَّعبُ إلَّــا ناهِــضاً تَــرَدَّى بهــامِ الــدَّارِعِيْنَ ظُبَاتُــه

وَفَيَــالِقٍ حَــشَدَ العــدوُّ خَمِيْــسَها في مــأزقٍ غَــصَّتْ بــهِ لَهَوَاتُــه

طَلَعَــتْ عليــهِ كَتِيْبَــةٌ عربيَّــةٌ فَجَرَتْ علــى أســيافِها مُهَجَاتُــه

ثُمّ يدعُو العَرَبَ إلى تركِ اليأسِ، ويُشبِّهُهُم بالأسدِ الحبيسِ الّــذي سَــيْأتي يَومٌ يعودُ فيه إلى وَثَبَاتِه، في عزيمةٍ لا تَعرفُ الوَنَى والضّعفَ:

لا تَزْدَرِ اللّيــثَ الحَبِــيْسَ، فَرُبَّمَــا عَادَتْ، وقدَ شَهِدَ الــوَغَى وَثَبَاتُــه

ومَشَى إليــكَ بِبَــأسِ قَــرْمٍ ثَــائِرٍ وَنَتِ الخُطُوبُ ومَاوَنَــتْ عَزَمَاتُــه

ويضربُ لهُمْ مثلاً بصلاحِ الدّينِ الأيوبيِّ الّذي سَلّ حُسَامَه وأَنْقَــذَ بــلادَ الشَّامِ منْ نَيْرِ الأَعْدَاءِ:

بِيَدِيَ صلاحِ الدّينِ، جَــرَّدَ سَــيْفَهُ ورَسَا بهِ تَحْــتَ الــسُّيوفِ ثَبَاتُــه

وأَخذَ الشّاعرُ بعدَ ذَلكَ يَستثيرُ الهِمَمَ ويُحَرِّكُ العزائم، فَذَكرَ حالَ العَذَارَى

في الخُدُورِ، اللَّاتي لم يَجِدْنَ مَفْزَعاً يَلْجَأنَ إليهِ عندَما استباحَ الأعْـدَاءُ حِمَـاهُنّ، فَنَفَرْنَ إلى الأَشْجَارِ البَاسِقَةِ، والأوْدِيةِ ومُنْحَنَيَاتِها يَخْتَبِئْنَ فيها:

لَيستْ لِيَعُـربَ فتيـةٌ لـم تُحْيِـهِ في موقـفٍ عَجّـتْ بـه فَتَيَاتُـه

بَرَزَتْ، فغيرُ الرُّوحِ لم تَرَ مَفْزَعـاً تَحْنُـو علـى أطفالِهـا أَثْلَاتُـه

أَتَبِيْتُ نَهْـبَ العَادِيـاتِ خُـدُورُها ويَـضُمُّها الـوَادِي ومُنْعَطَفَاتِـه

لا أَعْذُرَ الصَّخرَ الأَصَمَّ، وقدْ وَعَى تِنْحَابَهـا، أنْ لا تَلِـينَ صِـفاتُه

ويَنْكَفِئ الشَّاعرُ على نفسه، إذْ لايَجِدُ صدًى لكلماته الصَّادقةِ الحَارّةِ، فَلَجَأ إلى الحَمَامِ الّذي يُطيلُ النُّواحَ، ويَشْدُو بالهديلِ الحزينِ، فدعاهُ إلى البكـاءِ حتّـى يَسْتَروحَ الشَّاعر بذَلك:

أَأَبِيْتُ لَيْلِـي، والحَمَـامُ مُـساجِلي و الـدَّوْحُ عاكفـةٌ علـيَّ بَنَاتُـه

اللَّحـنُ لَحنُـكَ ياحَمَـامُ، فَغَنِّنِـي لا لَحْـنُ إِسْـحَاقَ ولا نَغَمَاتُـه

يَبكِي الحَمَامُ ولَسْتُ أُنْكِـرُ دَمْعَـهُ إنّ المُحِـبَّ سَـخِيّةٌ عَبَرَاتُـه

ثُمَّ يُسَائِلُ ذَلكَ الحَمَامَ: هَل أنتَ غَرِيبٌ مِثلي، يَشْتاقُ إلى وطنٍ تَرِفٌ في سمائه حَمَائِمِ السَّلامِ:

أفأنـتَ مِثلـي ياحَمَـامُ مُـشَرَّدٌ كَثُـرَتْ إلـى أوطانِـه نَزَعَاتُـه

وفي ختامِ القصيدةِ يُبيّنُ الشّاعرُ أنّ زَفراته وأَحزانَه أَبَـتْ إلّـا إخـراجَ المكنونِ في فؤادِه، وقدْ كانَ يُؤثرُ أنْ تَبقى حبيـسةَ جَوانحِـه، ولكـنّ عواطفَـه الجَيّاشةَ طغتْ عليهِ، فأَخرجتْ المَخْبُوءَ تحتَ لسانِه، فخَرجَ شعراً رصيناً، يُـشبِهُ

الدُّرِّ المَنضودَ واللّؤلؤَ المنظومَ:

الشّعْرُ سرٌّ في الفؤادِ، فإنْ طَغَى فيهِ الغَرامُ، تَصاعدتْ زَفَراتُه

أَخْفيتُه، وجَنَتْ عليهِ يدُ الهَوَى فَطَغَى عليَّ، وهذهِ نَفَثَاتُه

لا أقرضُ الشِّعْرَ الرَّكيكَ، وإنّما تَرْفَضُّ دُرّاً منْ فَمي كلماتُه

قَلّدْتُ جِيْدَ الأُفْقِ منْ مَكنونِه عِقْداً تَفُوقُ الدُّرَّ مَنْظوماتُه

وأمّا القصيدةُ الرَّابعةُ فيظهرُ منْ عنوانِها تَأَزُّمَ الشّاعرِ وغَضَبَه العَارِمَ على المستعمرينَ المُفسدينَ، فأَسْمَاها: (على قَصيْفِ الرَّعْدِ)، جاء مطلعُها دَالّاً على ثباتِ أهلِ الشَّامِ، وصبرِهم على الشّدائدِ العظيمةِ، وتَغَلُّبِهم على أحداثِ الزّمانِ ومصائبِه، يقول:

للهِ ظِلٌّ على الفَيحاءِ مَحدودُ لا يُقْلِقُ الشّامَ تَهويلٌ وتَهديدُ

غِلَابةُ الدّهرِ لم تَغْلِبْ أَبَاطحَها شَدَائِدٌ غَلْغَلَتْهُ في جوّها سُوْدُ

ثُمَّ وجّه الشّاعرُ نداءَه الغَاضِبَ إلى مُستعمري الشّعوب، سَفّاكِي الدِّماءِ، فساءَلهم: هل الحضارةُ في عُرفِكم ودينِكم ترويعُ الأَهلينَ وقَتلُ الأطفالِ والنِّساءِ والآمنينَ، يقول:

يا مُوقدي النَّارِ في أَفْيَاءِ أَرْبُعِها هل الحَضارةُ تَحريقٌ وتوقيدُ؟

أَذْكَيتمُوها، ولم تَخْشَوا عَواقِبَها وَقُودُ نَارِكُمُ الغِيْدُ الأَمالِيدُ

بَطَشْتُم اليومَ جَبّارينَ وَيْحَكُمُ لم يَسْتَمِلْ قَلْبَكُم وِلْدٌ ولا خُوْدُ

ويواصلُ شفيقٌ تساؤلاته لأولئكَ المُتغطْرِسينَ المُستبدِّينَ: هل الإرهـــابُ والقتلُ والسَّلبُ طريقُكم إلى احتلالِ بلادِنا؟

فلستُم أهلَ بناءٍ وإعمار، فإنَّ سياستَكم الّتي تَنتهجُونهـــا سياســـةُ الهـــدمِ والتدميرِ والقتلِ والإفساد:

هل انْتُـــدِبْتُم إلـــى تَوطيـــدِ دَوْلـــتِكم بالعُنفِ، هيهاتَ ما في العنفِ تَوطِيدُ

لا تَـــستقيمُ مـــعَ التّهـــديمِ مَمْلكـــةٌ وإنّمـــا المُلـــكُ بُنيـــانٌ وتَخليـــدُ

ضَلّتْ سِياســـتُكُمْ انْ كـــانِ هَمُّكُـــمُ قتلَ النُّفوسِ، فَما في القَتـــلِ تَعْبيـــدُ

لِلمُلكِ رَهطٌ، ولَستُم مـــنْ أَرَاهطِـــه ضَـــاعَتْ بأيـــدِيكُم منـــهُ المَقاليـــدُ

ثُمَّ يلتفتُ الشّاعرُ إلى العملاءِ الَّذينَ نصبَّهم المستعمرُ لحكمِ البلادِ باسمِه؛ فهؤلاءِ ليسُوا قادرينَ على ذلكَ، فمَا هَمُّهم إلّا اللّهوُ والعَبثُ والمُجـــونُ، وإشـــباعُ اللّذاتِ والشّهوات:

قَلّدْتُم المُلكَ أعلاجاً فمـــا نهـــضُوا الرّاحُ طاحتْ بهُم في المُلكِ والعُودُ

النّاسُ في الضّيمِ لم تَهْدَأْ وَسَاوِسُهم وهُـــم سُـــكَارَى تُـــسلِّيهُم أَغاريـــدُ

يَسْتبـــشِرُونَ إذا هَانـــتْ مَرَابِعُنـــا كأنّما عِنـــدَهُمُ مـــنْ هُونِهـــا عِيـــدُ

أمّا الأحرارُ الأباةُ، فهم مُشرّدُونَ في فجـــاجِ الأرضِ، يعـــانونَ البُـــؤسَ والجوعَ ويَلْقونَ الجفاءَ وسُوْءَ المعاملةِ، بينما الأراذلُ السفلةُ يتحكّمونَ في رقـــابِ الأحرار:

الحُرُّ تَلْعَجُ فـــي المَنْفَـــى لَواعِجُـــه مُشرّدٌ عنْ فِجاجِ المُلـــكِ مَطْـــرودُ

والعَبدُ يَحكمُ في الأَحرارِ مُعْتَسِفاً في كَفِّهِ المُلْكُ مَقبوضٌ ومَمدودُ

ثُمَّ ذكرَ أنَّ العربَ لا يَصلحُ لقيادتِهم إلّا عربيٌّ صميمٌ، غَذَتْهُ العزّةُ العربيّةُ وصَقلتْهُ الأخلاقُ العربيّةُ:

ظِلُّ العروبةِ لم يَصْلُح لوافيهِ حَشْدٌ منْ التُّركِ لا غِرٌّ ولاصِيْدُ

إنْ لم تُكنْ مُضَرُ الحَمْراءُ سائِدةً فمَا يُقِرُّ عيونَ العُرْبِ تَسويدُ

وهذا الحمامُ الآمنُ الذي أثارَ خوفَه قعقعةُ السِّلاحِ وزمجرةُ القنابلِ ودمدمةُ الطَّائرات وقصفُ الصَّواريخِ ــ آثر الصمت:

حَمَامةَ البانِ، هلْ رَاعَتْكِ رَائِعةٌ فمَا الحَمَامُ بِغُصْنِ البانِ غِرِّيدُ

كَانتْ تُرَدِّدُ أَلْحَاناً يَمُوجُ بها هَوَى النُّفُوسِ، فَمَا لِلّحْنِ تَرْدِيدُ

ورغبةً من الشَّاعرِ في استثارةِ همم أحرارِ الشّامِ ورجالِه، أحفادِ بَنِي أميَّةَ، ساءَلَهُم: ما الذي أصابَكم؟ لِماذا رَضِيتم بالذُّلِّ، وأَلِفْتم الهَوانَ؟ أترضَون أنْ يَستبيحَ حِماكُم الأراذلُ المحتلُّونَ:

ليتَ ابنَ هِنْدٍ يَرَى تَذْليلَ عَثْرتِه وما الهوانُ بأهلِ الشّامِ مَعبودُ

بَنِي أُمَيَّةَ، هل لَانَتْ جَوَانبُكم حتّى استباحَ حِمَى الشّامِ الأَعَابِيْدُ

ويَمضي الشَّاعرُ في قصيدتِه مغاضباً، فيطلقُ التّهديدَ لأولئكَ الظّلمةِ الّذينَ نصّبهم المستعمرُ، ويصفُهم بالزَّعانفِ، أي الجماعاتُ الّذينَ لا أصلَ لهم، فلن يَستطيعُوا كَسرَ شَوكتنا ولا تَمزيقَ وَحدتنا:

قُلْ للّذينَ طَغَتْ فِينا زَعانِفُهم جَاوَزْتُم الحدَّ، والطُّغيانُ مَحدودُ

إنْ كـــانَ رَأْيُكُـــمُ تَبديـــدَ أُلْفتِنـــا فمَـــا لأُلْفَتِنـــا فـــي الـــشّامِ تَبديـــدُ

وَيُشيرُ إلى أفاعيلِهم الّتي جاءتْ عكسَ ما ابْتغَوا فقـــد أيقظـــتِ الحميّـــةُ العربيّةُ، وأثارتِ النّخوةُ المُضريّةُ، ولن ينسَى أبناءُ دمشقَ ثاراتِهم الـــسَّابقةِ فـــي وقعة مَيسلونَ (١٣٤٠ هجرية – ١٩٢٠ م).

الّتي استُشهدَ فيها كثيرٌ من الشّبابِ العربيِّ الحُرِّ الأبيِّ، فهذهِ ثاراتٌ لـــن تُمْحَى، وذُحُولٌ لن يزيلَها طولُ العهدِ، وسَتبقى على مرِّ اللّيالي مُوحيةً للأجيـــال، ومُلْهمةً لهم في السّعيِ إلى استردادِ القُوّةِ، وإعدادِ العُدّةِ المعنويّةِ والماديّةِ:

أَيقَظْتُمُ في فِجـــاجِ الأَرضِ داهيـــةً دَهْواءَ، ماجَ بِها الرُّكبـــانُ والبيـــدُ

. . . أَغَرَّكُم منْ شبابِ الشّامِ، يَـــومُهم فـــي مَيـــسلونَ، وللأيّـــامِ تَنكيـــدُ

جِئتُم حِمَاهُم، فلـــم يَمْلِـــكْ جُفُـــونَهم غَمْضُ اللّيالي، وهلْ يُغْفِي المَقَايِيْدُ

في مَيسلُونَ ذُحُولٌ مِلؤُها مَـــضَضٌ وما يَنَامُ عـــن الثّـــأراتِ مَـــضْهُودُ

ولِئنَ اغترّ المستعمرونَ بأســـلحتِهم وعَتَـــادِهم مـــن طـــائراتٍ ومـــدافعَ وقاصفاتٍ ودبّاباتٍ، فإنّها لن تُثني عزيمَتَنا، ولن تَفُلّ قوتَنا ولن تَلـــينَ عريكتَنـــا، فنحنُ ليوثُ الوَغَى أحفادُ الأبطالِ، مساعيرُ الحروب:

فمَـــا الـــرَّواجِمُ بـــالنِّيرانِ طاويـــةً منْ عِزِّ جِلَّقَ، إنّ العِـــزّ صَـــيْهُودُ

ولا الحَوائمُ في الأَجـــواءِ هادِمـــةً مَجـــداً بَنَـــاهُ مَيَـــامينٌ أَمَاجِيـــدُ

لاتَحْسِبُوا قَصفَاتِ الرَّعـــدِ تُفزِعُنـــا قَصيْفُ رِعْدِكُمُ في السّمعِ تَغريـــدُ

ويشيدُ الشّاعرُ بثباتِ بني مَعروفٍ، الّذينَ وَقفُوا ضدّ الفرنسيينَ الغــزاةِ، فأكْثرُوا فيهم القتلَ، وصدُّوا طلائعَهم، فلم يَستسْلمُوا لوعودِ الأعداءِ الكاذبةِ، ولــم تغرّهم تصريحاتُهم المعسولةُ، فقد قذفُوها وراءَ ظهورِهم، وأعْلنُوا لغــةَ القُــوّةِ، وانتصرُوا على أعدائِهم في وقعاتٍ مختلفةٍ:

هَبّتْ فَيالقُ مَعروفٍ يَطُــوفُ بهــا ... في الغُوطَتينِ مَطَــاعينٌ صَــنَاديدُ

شمسُ النّحائزِ، لم تَسْلَسْ مَقَــاودُهُم ... لِواؤُهُم في ظِلالِ النّــصرِ مَعقُــودُ

يُمَهّدُونَ علــى الخَطّــيِّ دَولَــتَهُم ... ومَالَهــا بِــسِوَى الخَطّــيِّ تَمهيــدُ

مَلُّوا السِّياسَةَ لم تَصْدُقْ مَوَاعــدُها ... وللــــسَّياساتِ تَظْلِيــــلٌ وتَعْقِيــــدُ

ثُمَّ أثْنَى الشّاعرُ على فتيانِ دمشقَ الأماجدِ الّذينَ رَكِبُوا العلياءَ، وبَــاعُوا نُفوسَهم للهِ من أجلِ الذّودِ عنْ الحِمى، ودفــعِ المعتــدينَ، فحققــوا مــا أرادُوا، وسَاءَلَهم: هل تسمعونَ ما أعدّه اللهُ للمجاهدينَ الصّابرينَ؟ هل تتذكرونَ أمجادَكم؟ أتستوحونَ سيرةَ نبيِّكم القرشيِّ محمدٍ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم؟ يقول:

فِتيــــانَ جِلّــــقَ للعَليــــاءِ ثَــــورَتُكم ... ومَا يَضِيعُ مــعَ العليــاءِ مَجهُــودُ

جُدْتُم، فَسَالَتْ على الهَيجاءِ أنْفُــسَكم ... عَلّمْتُم النّاسَ في الهَيْجاءِ: ما الجُود؟

هَل تَسْمعونَ وقد نَــادَى جُمُــوعَكُمُ ... منْ جَانبِ الوَحْيِ تَوفِيــقٌ وتَــسديدُ

تِلْكُمْ قُــريشٌ وأَنــتُم فــي ذُؤَابتِهــا ... تُوْحِي إِليكُم عَلى الأيّامِ أنْ سُــوْدُوا

وفي ختامِ القصيدةِ دعا الشّاعرُ أبناءَ الشّامِ إلى الاتّحادِ والاجتماعِ، حتّــى يَتوطّدَ مُلكُهم وتستقرّ دعائمُه:

فإنْ جَمَعْتُم شَـــتَاتَ الأَمـــرِ بَيـــنَكُمُ فالمُلْكُ مُتّـــسِعُ الأَفيـــاءِ مَوطُـــودُ

وأمَّا القصيدةُ الأخيرةُ الموسومةُ بـــ (مناجاةُ البحتريِّ) فهي قصيدةٌ نُـــشِرَ بعضُها في الدّيوانِ (٣٩٠)، وسقطَ منها تسعةُ أبياتٍ أثبتُها في هـــذا المـــستدركِ، خاطبَ فيها شفيقُ جبري الشَّاعرَ الطائيَّ العباسيَّ البُحتريّ، واصفاً له فيها واقـــعَ العربِ ومبدياً حيرتَه وحسرتَه على ذلكَ الواقعِ:

نَحنُ في فَترةٍ من الـــدَّهرِ حَـــارَتْ فـــي دُجَاهـــا قُلُوبُنـــا حَيرَانـــا

مَا نَعِمْنا بالصُّبحِ إنْ بَلَجَ الصُّبحُ ولا بالمَسَاءِ في مَمْسَانا

ويتساءلُ شاعرُنا عن الغدِ: هل سيحملُ بشائرَ التغييرِ، وصلاحَ الأحوالِ واستقامةَ الأمورِ؟

وقدْ عرفَنا داءَنا أيُّها الغدُ، فهل تَملكُ لهذا الداءِ علاجاً ناجحاً، يعيـــدُ لنـــا الأمجادَ، ويُحيي فينا الآمال:

قَد عَرَفْنا الدّاءَ العُضَالَ فهلْ تَعْرِفُ فـــي بُـــرْءِ دَائِنـــا اطْمِئْنَانـــا

ومِمّا مَضى يَتَّضحُ لنا مَدى حِرْصُ الشّاعرِ شفيقٍ على العروبةِ، والبكاءِ على ماضيها، والأسى على حاضرها المؤلمِ، واستنهاضِ عزائم أبنائها لإعـــادة مجدها وعزها؛ وجل شعره يدور حول هذا الموضوع

القصيدة الأولى(١)

قال في إحدى المناسبات التاريخية:

١ مـــاذا جنيـــتَ فأنـــتَ اليـــومَ مـــسلوبُ
تـــاجُ الملـــوكِ، وأنـــتَ اليـــومَ مغلـــوبُ

٢ قـــد كـــانَ قـــصرُك ممـــدوداً سُـــرادقَه
علـــى الحَطِـــيْمِ، فـــرُبُّ القـــصرِ مثلـــوبُ

٣ وكـــانَ تاجُـــك مَرْهوبـــاً معاقـــدُهُ
فمالَـــهُ معقـــدٌ بـــالخَيفِ مرهـــوبُ

٤ قـــد لقّبتـــك جمـــاهيرٌ بمُنقـــذِها
فمـــا أفـــادَك يـــومَ الـــرّوعِ تلقيـــبُ

٥ يبني الملـــوكُ علـــى الآمـــالِ عرشَـــهم
وللـــــسّياسةِ تهـــــديمٌ وتخريـــــبُ

٦ والعرشَ إنْ لم يُؤَسّـــبْ بالـــسّيوفِ فمـــا
يُنجيـــــه بالأمـــــلِ الخلّـــــاب تأشـــــيبُ

٧ ففـــزتَ بالـــذّهبِ الإبريـــزِ تحملَـــه

(١) الفيحاء ــدمشق – السنة الثانية – العدد (٦٦) الجمعة ١٣٤٣/٤/١٧هـ تشرين الثـاني ١٩٢٤م (٤)

مـــا أنـــتَ بعـــد ضـــياعِ العـــرشِ محـــروبُ

٨ قـــد كـــانَ للمُلـــكِ أيّـــامٌ فـــضيّعها

حرصُ الحـــريصِ، فعـــزُّ المُلـــكِ مغـــصوبُ

٩ ما الملـــكُ فـــتحُ بـــلادٍ لا حـــدودَ لهـــا

وإنّمـــــا الملـــــكُ تـــــدبيرٌ وترتيـــــبُ

١٠ فمـــا أقيمـــتّ عليـــه البِـــيْضُ مُـــصلتةَ

ولا أحاطـــــتّ بـــــه الجُـــــردُ الـــــسّراحيبُ

١١ قـــد كـــانَ عرشَـــك مأمونـــاً غوائلَـــه

لـــو حَـــفّ بـــالعرشِ تعلـــيمٌ وتأديـــبُ

***

١٢ إن كـــانَ رأيُكَـــمُ تـــأليفَ فرقتنـــا

علـــــى اللّيـــــالي، فلـــــلآراءِ تـــــصويبُ

١٣ لقـــد ســـئمنا شـــتاتَ العـــربِ قاطبـــةَ

فـــإنْ عَقَلّـــتَم، فَـــصَدْعُ العُـــربِ مِـــرؤوبُ

١٤ وإنْ مـــشيتَم إلـــى الهيجـــاءِ تَحفِـــزُكم

يـــدٌ لعـــوبٌ، فـــإرثَ العُـــربِ منهـــوبُ

١٥ قد يكذبُ الخـــصمُ فـــي إنجـــازِ موعـــدِه

مـــا فـــي مواعيـــدِه إلّـــا الأكاذيـــبُ

١٦ مــرَّتْ بنــا عبــرٌ، والــدّهرُ يَخْلِــسُها
فلــــم تهــــذّبْ حواشِــــينا التّجاريــــبُ

١٧ بِتْنــا نُــصدّقُ تزويــرَ المقــالِ، ومــا
يهُمّنــــا فيــــه تمحــــيصٌ وتــــشذيبُ

١٨ والخــصمُ يحفــرُ للأعــرابِ حفــرتهم
وَجْــهٌ ضــحوكٌ، وقلــبٌ فيــه تقطيــبُ

١٩ فــيمَ التقاتــلُ والأنــسابُ تنظمُهــا
فَكُــلٌّ حــيٍّ إلــى قحطــانَ منــسوبُ

***

٢٠ رَحّــبَ بمــن يجمــعُ الــشمل الــشتيت
بغيــرهِ فــي رُبــوعِ الــشّامِ ترحيــبُ

٢١ المنــشئُ العَلَــمُ الخطّــارُ يبــسطُه
علــى الــدّياراتِ تجنيــدٌ وتكتيــبُ

٢٢ الجاعلُ العربَ فــي عِــزّ وفــي دعــةٍ
مــا يــستطيلُ علــى أوطــانِهم ذيــبُ

٢٣ التــارِكُ النّــومَ فــي توطيــدِ عثــرتِهم
من عمــرِهِ فــي ســبيلِ العــربِ موهــوبُ

٢٤ رَحَّــبْ بمــنْ لــم تلــدْه بَعْــدُ والــدةٌ
فهــو الجنــينُ عــن الأبــصارِ محجــوبُ

القصيدة الثانية[١] العندليب على البحيرة

في سنة١٩٦٤م كان الشّاعر بدويّ الجبل في جنيف بسويسرا، فأوحتْ إليه غربتُه قصيدةً حَنَّ فيها إلى دمشقَ، نُشِرَتْ في إحدى جرائدِ بيروت؛ ومطلعها:

لا الغُوطتانِ ولا الشّباب

أدعو هَوايَ فلا أُجاب[٢]

فأجابَهُ عنها الشّاعرُ شفيق جبري في السّنة نفسِها بهذهِ القصيدةِ:

١ يا نائحاً خلفَ العُباب

أدموعُ عينِكَ أم لُهاب

٢ رِفقاً بقلبِكَ أن يذوب

وقلبُ ربعِكَ أنْ يذابْ

٣ ضَنِيَ الصّحابُ من الحنين

أمَا حنوتَ على الصّحاب

٤ لو يكتبُ الدّمعُ اللّهيفَ

لكانَ من دمعٍ كتاب

(١) الهلال – العدد (٢) السنة الحادية والثمانون – فبراير ١٩٧٣م ١٣٩٢/١٢/٢٨هـ (٨٤ – ٨٥)

(٢) ديوان بدوي الجبل ــ دار العودة ــ بيروت ــ ١٩٧٨م(٧٢)

٥ مـــا بـــالُ جِلَّـــقَ مـــا تجيـــب

أمَـــــا لِجِلّـــــقَ مـــــن جـــــواب

٦ (العنـــــدليبُ) علـــــى البحيـــــرة

والجـــــوانحُ فـــــي اضـــــطراب

٧ مُـــــــــــــــــــلَّ المقامُ – وما يمـــــــلَّ مقـــــامه –

٨ مـــا العاصـــفاتُ علـــى الـــسّماء

ومـــــا الثّلّـــــوج ومـــــا الرّبـــــاب

٩ مِـــــلْءُ العيـــــونِ الغُوطتـــــانِ

عليهمـــــــــا لِـــــــيْنُ الجِنـــــــاب

١٠ أيـــــشوقُه مِـــــنْ آلِ جفنـــــة

فيهمـــــــــا ظِـــــــلٌّ مُهـــــــابْ

١١ فمتـــــى يطـــــوفُ العنـــــدليبُ

عليهمـــــــــا طـــــــالَ الغيـــــاب

١٢ هـــــوّنْ عليـــــكَ إنْ اســـــتطعت

فمـــــا المـــــلامُ – ومـــــا العتـــــاب؟

١٣ لابـــــــدَّ مـــــــن إشـــــــراقةٍ

تجلـــــو عـــــن الأفـــــقِ الـــــضّباب

***

١٤ لـــــو تـــــستطيعُ هَـــــوَتْ إليـــــك

شـــــــيوخُ ربعِـــــــك والـــــــشّباب.

١٥ حَـــــبْسُ الخُطـــــا عـــــن زحفِهـــــم

قيـــــدٌ ينـــــوءُ بـــــه الـــــصّعاب

١٦ ضَـــــجّتْ شـــــعابُ الغُـــــوطتين

فمـــــا الـــــضّجيجُ علـــــى الـــــشّعاب

١٧ مـــــن كُـــــلّ غـــــلٍّ للبيـــــانِ

وكـــــــــــــلُّ ذُلٍّ للرّقـــــــــــــاب

١٨ يـــــاويحَ جِلّـــــقَ مـــــا تعـــــاني الغُـــــو

طتـــــــــانِ مـــــــــن العَـــــــــذاب

١٩ الفجـــــرُ مـــــضطربُ الـــــضّحى

واللّيـــــــل مـــــــسودُّ الخِـــــــضاب

٢٠ نُمْـــــسِي ونـــــصبحُ لا ابتـــــسامَ علـــــى الثُّغـــــورِ ولا دِعـــــاب

٢١ لا العـــــينُ تهـــــدأُ فـــــي المجـــــيءِ

ولا الجَـــــــوانحُ فـــــــي الـــــــذّهاب

٢٢ فهـــــل الـــــذّئابُ علـــــى الـــــصّفاح

ومـــــن يغيـــــثُ مـــــن الـــــذّئاب

٢٣ فكأنّمـــــا شـــــبحُ الخـــــرابِ يلـــــو

حُ مِـــــــنْ أُفـــــــقٍ قِـــــــراب

٢٤ دخلـــــتْ بلايـــــا الـــــدّهرِ ربـــــعَ

أميّـــــــةَ مـــــــن كُـــــــلّ بـــــــاب

٢٥ طفـــــلٌ يـــــذوبُ مـــــن الـــــشُّجون

وطفلـــــــــةٌ تـــــــــشكو المُـــــــــذاب

٢٦ ســـــقطَ الحجـــــابُ عـــــنِ العيـــــون

فمـــــــــا يُغـــــــــشّيها حجـــــــــاب

٢٧ أيعـــــــودُ عهـــــــدُ القرمطـــــــيّ

ومـــــــا يجـــــــرُّ مـــــــن الخَـــــــراب

***

٢٨ بنـــــتُ الخلائـــــفِ والملـــــوك

علـــــــــى الأرائـــــــــكِ والقِبـــــــــاب

٢٩ أيـــــنْ القـــــصورُ ومـــــن تَبَخْـــــتَ

رَ بينهـــــــا، أيـــــــنْ الكِعـــــــاب؟

٣٠ أيـــــــن الّـــــــذين إذا مَـــــــشَوا

مَـــــشَتِ الجبـــــالُ مـــــع الرّكـــــاب

٣١ دَوّت بـــــك الـــــدّنيا فمـــــاجَ

دَوِّيُّ صـــــــــــوتِك كالعُبـــــــــــاب

٣٢ طـــالَ المـــصابُ وطـــالَ صـــبرُك

يـــــا دمـــــشقُ علـــــى المُـــــصاب

٣٣ مـــا كـــان صـــوتُك فـــي النّـــداءِ

إذا تَعَـــــــــــالى لا يُجـــــــــــاب

٣٤ أســـئمتَ مـــن طُـــولِ الوثـــابِ

وقـــــد نَـــــشَأْتَ علـــــى الوِثـــــاب

٣٥ غالبـــتَ حتـــى مَـــــــــــلَّ منـــــــــكَ جـــــــــهادُ

٣٦ مـــــــاذلَّ رأسُـــــــك للأســـــــنّةِ

والـــــــــــصّوارمِ والحِـــــــــــراب

٣٧ مـــــا غـــــرّهم إلا الخفـــــوتُ

متـــــى الجمـــــاحُ؟ ومتـــــى الهبِـــــاب؟

٣٨ لـــم تبَـــقْ منـــكَ معـــالمُ إلا انْطَـــوَ

تْ طَـــــــــــــيَّ العِيـــــــــــــاب

٣٩ فكأنّمـــا للقـــومِ هـــمٌّ فـــي حَنَـــا

يَـــــــــــــاكَ التّبـــــــــــــاب

٤٠ هـــذا عقـــابُ مـــن اســـتنامَ إلـــى

الأذى، هـــــــــــذا العقـــــــــــاب

٤١ تلـــكَ الأضـــاحي يـــا دمـــشقُ

كأنّهـــــــا أضـــــــحت مُعـــــــاب

٤٢ أثـــــــــــوابُ أهلـــــــــــك أنْ تبيـــــــــــدَ

٤٣ مـــاذا جنيـــتَ وأنـــت مـــن كـــرمِ

الـــــــشّمائلِ فـــــــي اللّبـــــــاب

٤٤ مـــــا شـــــاب ودّك شـــــائبٌ

حاشـــــــا لـــــــودّك أنْ يُـــــــشاب

***

٤٥ هـــذي الـــضّغائنُ فـــي الـــصّدْ

ورِ كأنَّهـــــا لَهَـــــبُ الـــــشّهاب

٤٦ هـــــل يُطفئـــــونَ لهيبَهـــــا أم

دعـــــــوةٌ مـــــــا تـــــــستجابْ

٤٧ طـــاشَ الـــصّوابُ، وكيـــف تَهْـــدِي القـــومَ إنْ طـــاشَ الـــصّـــواب

***

٤٨ لَهْـــفِي عليـــكَ وكيـــف تَنْقَـــــعُ لَهْـــفَةَ جهـــــــــــدِك

٤٩ لا جُـــنْحَ ليلِـــك بالقـــصيرِ ولا
لِشَمْـــــــسِك مـــــــن لُعـــــــاب

٥٠ أطـــرحْ كؤوسَـــك والـــشّراب
فمـــــا يطيـــــبُ بهـــــا الـــــشّراب

٥١ تلـــكَ اللّيـــالي البـــيضُ مَـــرّتْ فـــي
الحِمَـــــــى مَـــــــرَّ الـــــــسّحاب

٥٢ حُلْـــــمٌ كـــــأحلامِ العَطاشـــــى
يغـــــــرَّهم لمـــــــعُ الـــــــسّراب

٥٣ أيـــن العنـــادلُ بـــين وُهْـــدانِ
الخَمَائـــــــــلِ والهـــــــــضاب

٥٤ نعـــــقَ الغُـــــرابُ فلـــــيس
تـــــسمعُ غيـــــرَ تَنْعـــــاقِ الغُـــــراب

***

٥٥ ليـــستَ دموعـــاً مـــا سَـــكَبَتْ
شـــــغافُ قَلْبِـــــي فـــــي انْـــــسِكاب

القصيدة الثانية

علم العروبة(١)

١- مجــدُ العروبــةِ أقفــرتْ عَرَصَــاتُه
والـــضّيمُ حـــلَّ بـــه، فـــأين أُباتُـــه

٢- جُــرحٌ بــسيفِ البغــيِ ألّــمَ وقعُــه
كبـــدَ الحيـــاة، فـــأين عنـــه أُســـاتُه

٣-لَهْفِي على العربيِّ - كيــف تغيّــرتْ
أخلاقُـــه، فعـــدتْ عليـــه عُداتُـــه

٤- وإذا الهوانُ دَهَى الحياةَ فموتُ مَنْ
أَنِـــفَ المُقَـــامَ علـــى الهـــوانِ حياتُـــه

٥- هــل يبلــغُ الــوطنُ المفــدّى حَقَّــه
وإلـــى بنيـــهِ مـــن البنـــينَ شـــكاتُه

٦- أيـــشادُ معهـــدُ عـــزٍّه وزمامُـــه
بيـــدِ العـــدوِّ، وهـــادموه بُنَاتُـــه

(١) الزهراء - جمادى الثانية ١٣٤٤هـ ص٣٧٠ والمعرض العدد ٤٧٢ الأحد ٢٨/ شباط - ١٩٢٦م ص٤ وقد وَرَدَ فيها ستة عشر بيتاً حيث حذفت الرقابة آنذاك بعْضَ أبياتها. وذكر منهـا علـي الطنطاوي اثني عشربيتا، ذكريات علي الطنطاوي ـ دارالمنارةجدة ـ الطبعـة الأولـى ـ ١٤٠٥هـ(٢٣٤)

٧- لم يَجْنِ من زُهْرِ الكواكــبِ صــارمٌ

لـــم تَخْتـــضبُ بـــدمِ النّفـــوسِ شُـــباتُه

٨- لا يـــستقلُّ الـــشّعبُ إلاَّ ناهـــضاً

تَـــرْدَى بهـــامِ الـــدّارعينَ ظُباتـــهُ

***

٩- وفيـــالقٍ حـــشدَ العـــدوُّ خميـــسَها

فـــي مـــأزقٍ غَـــصَّتْ بـــه لَهواتُـــه

١٠- طلعـــتْ عليـــه كتيبـــةٌ عربيّـــةٌ

فجـــرتْ علـــى أســـيافِها مُهْجَاتُـــه

١١- ضـــحكَ الحـــسامُ، ولـــستُ أَعْـــذرُ

أنْ لا يـــسيلَ ومـــن دمٍ عبراتُـــه

١٢- لا تزدرِ اللّيـــثَ الحبـــيسَ، فَرُبَّمـــا

عادتْ – وقـــد شَـــهِدَ الـــوغى – وثباتُـــه

١٣- ومـــشى إليـــك ببـــأسِ قَـــرْمٍ ثـــائرٍ

ونـــتِ الخطـــوبُ ومـــا ونـــتْ عَزَماتُـــه

١٤- بِيـــديْ صـــلاحِ الـــدّينِ جَـــرّدَ

ورَسَـــا بِـــهِ تحـــتَ الـــسيوفِ ثباتُـــه

١٥- ثَغْرُ الـــشّامِ، وكيـــفَ يـــولجُ غابُـــه

ومـــــن الوشـــــيجِ الـــــسّمهريِّ نَبَاتُـــــه

١٦- إنْ تدنُ منه تجِـدْ هنالــكَ مَرْبــضاً

طُبِعَــتْ علـــى البـــأسِ الحديـــدِ كماتُـــه

١٧- ثغرٌ تدينُ لـــه الملــوكُ، وشــدَّ مــا

غَـــــصَّت بهـــــامِ النّـــــاكثين لهاتُـــــه

١٨- عَلَــمُ العروبـــة لا تحـــلُّ بنـــوده

الأســـــدُ – أســـــدُ الغـــــوطتينِ حِماتُـــــه

١٩- عَلَــمُ أظــلَّ مــن الفخــارِ ســنامَه

وعلـــــى النَّـــــدَى خفَّاقـــــةٌ عذباتُـــــه[1]

٢٠- أترى الشّآم كمــا عهــدتَ نــضيرةً

والمـــــاءُ فيهـــــا عَذبـــــةٌ رشـــــفاتُه

٢١- والربعُ مُخــضرٌّ الجنــاب، فَكُلَّمــا

عبـــثَ النـــسيمُ بـــه ذكـــتْ نفحاتُـــه

٢٢- أَكَمَــا عهــدتكِ يــا ديــارَ أحبّتــي

والـــرّوضُ فيـــك عليلـــةٌ نـــسماتُه

(1) من البيت (الثامن) إلى البيت التاسع عشر غير موجودة في المعرض، حذفتها يد الرقابة.

٢٣- ليــستْ ليعــربَ فتيــةٌ لــم تُحيــهِ

فـــي موقـــفٍ عَجَّـــتْ بـــه فتياتُـــه

٢٤- برزتْ فغيرُ الدّوحِ لم تــرَ مَفزعــاً

تحنُـــو علـــى أطفالِهـــا أثلاتُـــه

٢٥- أتبيَــتُ نَهْــبَ العاديــاتِ خُــدورُها

ويـــضمُّها الـــوادي ومُنعطفاتُـــهِ

٢٦- لا أعذرُ الصّخرَ الأصمَّ، وقد وعى

تِنْحابَهـــا أنْ لا تلـــينَ صـــفاتُه

٢٧- يشقى النّهارُ بهــا، ويــسعدُ بعــدَه

ليـــلٌ تُجِـــنُّ وجوهَهـــا ظلماتُـــه

٢٨- أَحْبِـــبْ إلـــيّ بلـــيلِكُنَّ فإنّـــه

مـــسكٌ وحبّـــاتُ القلـــوبِ فُتَاتـــهُ

٢٩- حبّبــتَ ياليــلُ الــسوادَ لنــاظري

حَتّـــى كـــأنَّ البـــدرَ فيـــك قذاتُـــه[1]

****

٣٠- أَأَبِيْــتُ ليلـــي والحَمَـــامُ مُـــساجلي

(١) من بيت ٢٦ إلى ٢٩ غير موجودة في المعرض.

والـــــدّوحُ عاكفـــــةٌ علـــــيَّ بناتُـــــه

٣١- اللّحنُ لحنُــك يــا حَمــام، فَغَنِّنــي

لا لحـــــنُ إســـــحاقَ، ولا نغماتُـــــه

٣٢- يبكـــي الحمـــامُ، ولـــستُ أنكـــرُ

إنَّ المُحِـــــبَّ سَـــــخِيّةٌ عبراتُـــــه

٣٣- أفأنـــت مثلـــي يـــا حمـــامُ مُـــشرّدٌ

كثـــرَت إلـــى أوطانِـــه نزعاتـــه

٣٤- ألفِ النياحُ إلـــى الـــصّباحِ، فكلمـــا

رَق النـــسيمُ تـــضاعفت حـــسراته[1]

٣٥- الـــشعرُ سِـــرٌّ فـــي الفـــؤادِ، فـــإنْ

فيـــه الغـــرامُ، تـــصاعدت زفراتـــه

٣٦- أخفيته، وجنت عليـــه يـــدُ الهـــوى

فطغـــــى علـــــيَّ – وهـــــذه نفثاتـــــه

٣٧- لا أقرضُ الشعر الرّكيـــك، وإنمـــا

تـــــرَفضُ دُرّا مـــــن فمـــــي كلماتـــــه

٣٨- قلدْت جِيـــدَ الأفـــق مـــن مكنونِـــه

عقـــــدا تفـــــوق الـــــدُرَّ منظوماتـــــه

٣٩- عثرَ الـــصّباحُ بـــسلكِه، فتهالكـــتْ

فـــــوقَ الرّيـــــاضِ نَدِيَّـــــةٌ شـــــذراتُه

(١) من البيت ٢٦ إلى ٢٩ غير موجودة في المعرض.

القصيدة الرابعة

على قصيف الرّعد[١]

١- للهِ ظِـــلٌّ علـــى الفيحـــاءِ ممـــدودُ
لا يقلـــقُ الـــشّامَ تهويـــلٌ وتهديـــدُ

٢- غَلابةُ الـدّهرِ لـم تغلـبْ أباطحَهـا
شـــدائدُ غَلْغَلَتـــه فـــي جوِّهـــا سُـــودُ

٣- بسّامةُ الثّغـرِ إنْ ماجـتْ موائجُهـا
هَـشّتْ، ولـم تُعْمِهـا عميـاءُ صَـيخودُ

٤- خلتْ ملـوكٌ وأرضُ الـشّامِ طاويـةٌ
تـاجَ الملـوكِ، ورسـمُ الـشّامِ مَنـشودُ

٥- وكُلَّمـا بَلَيَـتْ أفـوافُ غوطتِهـا
عـاذتْ، وفـي الغُوطـةِ الغنّـاءِ تَوريـدُ

٦- يا موقدي النّارِ فـي أفيـاءِ أَرْبُعِهـا
هـل الحـضارةُ تحريـقٌ وتوقيـدُ؟

٧- أَذْكيتُمُوهـا، ولـم تَخْـشَوا عواقبَهـا
تلـك الجـراحُ، ومـا للجُـرحِ تـضميدُ

(١) الجامعة الإسلامية – سليمان التاجي الفاروقي (يافا) – السنة الثالثة – العـدد ٦٠٨ – الثلاثـاء ١٣٥٣/٥/٤هـ ١٤ آب ١٩٣٤م ص١

٨- بَطــشْتم اليــوم جبّــارينَ ويَحْكُــمُ
لــم يَــستملْ قَلْــبَكُم ولِــدٌ ولا خــودُ

٩- كم من وئيدٍ على الأنْطــاعِ منــبطحٌ
نَهْــبَ الــسّياطِ تُدميــهِ الأخاديــدُ

١٠- والغانياتُ وقــد أَوْهَــتْ جوانحَهــا
تلــك الجــراحُ، ومــا للجُــرحِ تــضميدُ

١١- جنايــةٌ مــا جنتْهــا قــبلكم أُمــمٌ
ضــجَّ الأقــاربُ منهــا والأباعيــدُ

١٢- زعمْــتم ودَّكــم يُبــري خواطرَنــا
مَهلاً، فمــا طــيفُكم فــي الــشّامِ مــودودُ

١٣- دعوى تقاليدِكم فــي الــشّامِ باطلــةٌ
يــا ليتَهــا مُزِّقــتْ تلــكَ التقاليــدُ

١٤- هل انْتُــدبتم إلــى توطيــدِ دولــتكِم
بالعنفِ، هيهاتَ ما فــي العنــفِ توطيــدُ

١٥- لا تــستقيمُ مــع التهــديمِ مملكــةٌ
وإنّمــا الملــكُ بنيــانٌ وتخليــدُ

١٦- ضلّتْ سياســتُكم إن كــان همُّكــم
قتــلَ النّفــوسِ، فمــا فــي القتــلِ تعبيــدُ

١٧- للملكِ رهطٌ، ولستُم من أراهطِه

ضاعتْ بأيديكم منه المقاليدُ

١٨- قلّدتُم الملكَ أعْلاجاً، فما نَهضُوا

الرّاحُ طاحتْ بهم في الملكِ والعودُ

١٩- النّاسُ في الضّيمِ لم تهدأْ وساوسُهم

وهمْ سُكارى تُسلّيهم أغاريدُ

٢٠- يستبشرونَ إذا هانتْ مرابعُنا

كأنّما عندهم من هُونِها عيدُ

٢١- باعوا الدّيارَ بأثمانٍ مُبخّسةٍ

شَرَوا بها العابَ، رَبُّ العابِ معبودُ

٢٢- الحرُّ تَلْعِجُ في المنفى لواعجُهُ

مُشَرّدٌ عن فجاجِ الملكِ مطرودُ

٢٣- والعبدُ يحكمُ في الأحرارِ مُعتسفاً

في كَفّه الملكُ مقبوضٌ وممدودُ

٢٤- ظلُّ العروبةِ لم يصلحْ لوافيهِ

حَــشْدٌ مــن التُّــركِ لاغــرٌّولا صــيدُ[1]

٢٥- إنْ لم تكن مضرُ الحمــراءُ ســائدةً

فمـــا يقـــرُّ عيـــونَ العـــربِ تـــسويدُ

٢٦- حمامةَ البانِ، هل راعتْــك رائعــةٌ

فمـــا الحمـــامُ بِغُـــصْنِ البـــانِ غِرِّيـــدُ

٢٧- كانتْ تُــرَدّدُ ألحانــاً يمــوجُ بهــا

هــوى النّفــوسِ، فمــا للّحْــنِ تَرديــدُ

٢٨- للهِ ذكرى، ودمــعُ العــينِ يكتُمهــا

والبــالُ مــن هولِهــا حيــرانُ مخــضودُ

٢٩- لقد شــكونا، فلــم تُــسْمَعْ شــكايتُنا

صوتُ الهــضيمِ عــن الأُســماعِ مــردودُ

٣٠- إنْ لــم تَعُــدَّ لأخــذِ الحــقِّ عُدَّتــه

ضَـــللتْ، والحـــقُّ منبـــوذٌ ومفقـــودُ

٣١- للشّعبِ صوتٌ فما اهتزّوا لــضجّتِه

(١) إشارة إلى الوزارة السورية في أيام الثورة ومعظم رجالها من أصل تركي. (من هامش الجريدة)

(لا) يسمعُ الشّعبُ إلّــا وهــو معــضودُ

٣٢- يا دمعةً حبــستْها العــينُ فانطلقــتْ

حَتَّــى تَبَلَّــلَ منهــا الخــدُّ والجيــدُ

٣٣- لَيْتَ ابنَ هندٍ يــرى تــذليلَ عثرتِــه

ومــا الهــوانُ بأهــلِ الــشّامِ معبــودُ

٣٤- بني أميَّــةَ هــل لانــتْ جــوانبكُم

حتى اســتباحَ حِمــى الــشّامِ الأعابيــدُ

٣٥- قُلْ للّــذينَ طغــتْ فينــا زَعَــانَفُهم

جــاوزْتُم الحــدَّ، والطُّغيــانُ محــدودُ

٣٦- إنْ كــانَ رأيُكــم تبديــدَ أُلْفَتِنــا

فمَــا لأُفتِنــا فــي الــشّامِ تبديــدُ

٣٧- أهواؤُنا في ربــوعِ الــشّامِ واحــدةٌ

إنْ كانَ يَلْــوِي بِخَــصْمِ الــشّامِ توحيــدُ

٣٨- حمّلْتُم الــشّعبَ أقيــاداً ينــوءُ بهــا

لا يقمــعُ الــشّعبَ بعــد اليــومِ تقييــدُ

٣٩- أَيْقظْتُم فــي فجــاجِ الأرضِ داهيــةً

دهواءَ مـــاجَ بهـــا الرّكبـــانُ والبيـــدُ

٤٠- ظنّوا الأظانينَ، لم تَصدق فراســـتُهم

فكلُّ ربـــعٍ علـــى الفيحـــاءِ محـــشودُ

٤١- أغرّكم من شـــبابِ الـــشّامِ يـــومُهم

فـــــي ميـــــسلونَ وللأيّـــــامِ تنكيـــــدُ

٤٢- جئتُم حِمَاهم، فلـــم يملـــكْ جفـــونَهم

غمضُ اللّيالي، وهل يَغْفـــى المقاييـــدُ

٤٣- في ميسلونَ ذُحولٌ ملؤُها مَـــضضٌ

ومـــا ينـــامُ عـــن الثـــاراتِ مَـــضهودُ

٤٤- تلك الدّماءُ فما جَفَّـــتْ ولا هَـــدرتْ

نـــادى بهـــا اليـــومَ مَـــؤُودٌ وملحـــودُ

٤٥- ثارتْ دمشقُ وملءُ الدّهرِ ثورتُهـــا

لهـــا علـــى الـــدّهرِ تبجيـــلٌ وتمجيـــدُ

٤٦- خفّاقـــةٌ بـــشبابِ العـــربِ وارفـــةٌ

يحنو علـــى حوضـــها الـــشُّمُّ المناجيـــدُ

٤٧- ذكرى العروبةِ إنْ يغضبْ لنصرتِها

يغـــضبْ مقـــاحيمُ مـــن فهـــرٍ خفاديـــدٌ

٤٨- فمـــا الـــرّواجمُ بـــالنّيرانِ طاويـــةً

مـــن عِـــزٍّ جِلّـــقَ إنّ العـــزَّ صـــيهودُ

٤٩- ولا الحوائمُ فـــي الأجـــواءِ هادمـــةً

مجـــــداً بنـــــاه ميـــــامينُ أماجيـــــدُ

٥٠- لا تحسبوا قَصفَاتِ الرّعـــدِ تُفزِعُنـــا

قَصِيفُ رَعـــدِكُمُ فـــي الـــسّمعِ تَغريـــدُ

٥١- تَسْتأسِدُونَ وأنـــتم فـــي حَواضـــرِنا

وفـــــي البـــــوادي أَجَافِيـــــلٌ رَعَادِيـــــدُ

٥٢- لا يُرْهِبُ الشّامَ تـــشديدٌ تثـــورُ لـــه

مشارفُ الـــشّامِ، بِـــئْسَ اليـــومَ تـــشديدُ

٥٣- هَبّتْ فيالقُ (معروفٍ) يطوفُ بهـــا

فـــي الغُـــوطتينِ مَطـــاعينٌ صـــناديدُ

٥٤- شمسُ النّحائزِ لم تُـــسْلِسْ مَقَـــاودَهم

لـــواؤُهم فـــي ظِـــلالِ النّـــصرِ مَعقـــودُ

٥٥- يُمَهّـــدُونَ علـــى الخطِّـــيّ دولـــتَهم

ومالَهـــا بِـــسَوَى الخَطّـــيِّ تمهيـــدُ

٥٦- ملّوا السّياسةَ لم تَـصْدُقْ مواعـدُها

وللـــــسّياساتِ تـــــضليلٌ وتَعقيـــــدُ

٥٧- تَكيدُ والشّعبُ ما يَخْـشَى مكايـدَها

تَـيّقظَ الـشّعبُ مـا تُجْـدِي المكاييـدُ

٥٨-أبا طـلالٍ، أقلـتْ اليـومَ عثرتَنـا

فأهنأُ فذكرُك في الأحقـابِ مَحمـودُ[1]

٥٩- ضَـوَتْ إليـك جمـاهيرٌ يُبَلّغُهـا

وريـفَ ظلّـكَ تـصويبٌ وتـصعيدُ

٦٠- رَمَتْ بهم ظلماتُ الضّيمِ عن وطـنٍ

تَقاســـمتْه الأفـــاعي والأســـاويدُ

٦١- فغادرُوا الـشّامَ والإيمـانُ أُهبـتُهم

إيمـــانُهم بنجـــاحِ الـــشّامِ مَوكـــودُ

٦٢- أملتْ عليهم دمشقُ الـشّامِ مُنْيتَهـا

مُنَـــى دمـــشقَ المعـــالي والمحاميـــدُ

(١) أبو طلال: كنية السلطان باشا الأطرش زعيم ثورة الشام (هامش الصحيفة).

٦٣- يا راكبينَ إلـــى الهيجـــاءِ تحملُهـــم

فـــي هَـــولِ حَومتِهـــا الجُـــرْدُ القياديـــدُ

٦٤- الرّوحُ والـــدّمُ والأعـــراقُ زَادُكُـــمُ

إنْ كـــانَ يكفـــي مـــن الأرواحِ تزويـــدُ

٦٥- فتيـــانُ جِلّـــقَ للعليـــاءِ ثـــورتُكم

ومـــا يـــضيعُ مـــع العليـــاءِ مجهـــودُ

٦٦- جُدْتُم فسالتْ على الهيجـــاءِ أنفـــسُكم

عَلَّمْتُم النّاسَ فـــي الهيجـــاءِ مـــا الجـــودُ

٦٧- بَنيْتُم المُلكَ مـــن أشـــلاءِ عِتْـــرتِكم

يُوطّـــدُ المُلـــكَ مهـــشومٌ ومحـــصودُ

٦٨- يَحْمِي حِماهُ إذا طاحـــتْ طوائحُـــه

فـــي رَوْعـــةِ الـــدّهرِ جبّـــارٌ ومرِّيـــدُ

٦٩- يُنـــدّدونَ بمـــا أعلـــتْ ســـيوفُكُمُ

ومـــا يـــضيرُ بيـــاضَ الـــصّبحَ تنديـــدُ

٧٠- هل تسمعونَ وقد نـــادى جمـــوعَكُم

من جانـــبِ الـــوحي توفيـــقٌ وتـــسديدُ

٧١- تِلْكُم قــريشٌ وأنــتم فــي ذُؤَابتِهــا

تُوحي إليكم علــى الأيّــامِ أنْ سُــودُوا

٧٢- وللعروبــةِ فــي أفيــائِكم لَجَــبٌ

لــهُ مــن الــوَحْي والقــرآنُ تأييــدُ

٧٣- الدّهرُ يُنــشِدُ مــن آيــاتِ ثــورتِكم

وقــد تَهــيجُ هــوى الــنّفسِ الأناشــيدُ

٧٤- ما في النّعيمِ عن استقلالِكم عَــوضٌ

وكيــفَ يــنعمُ مَغلــولٌ ومَــصفودُ

٧٥- فإنْ جمعْتُم شــتاتَ الأمــرِ بيــنَكُمُ

فالمُلــكُ مُتّــسِعُ الأفيــاءِ مَوطــودُ

(القصيدة الخامسة) مناجاة البحتري[1]

ذُكِرَتْ في الدّيوان، وكانتْ قد نُشِرتْ في المجلّة العربيّة[2]، وانفردتْ بذكرِ تسعة أبياتٍ لم تردْ في الدّيوان، وهي قولُه بعد البيتِ الأخير:

١) نحنُ في فترةٍ من الدّهرِ حَارتْ
في دُجاها، قلوبُنا حَيْرانا

٢) ما نَعِمْنا بالصّبْحِ إنْ بلجَ الصّبحِ ولا بالمساءِ في مَمْسَانا

٣) كم عيونٍ أَفْنَى البكاءُ عليها
وقلوبٍ تَطْوِي الدُّجى خَفقانا

٤) فكأنّ الزّمانَ أصبحَ فَوضى
فاقَ في شُؤْمِ وجهِه الأزمانا

٥) يومُنا مثلُ أمسِنا، أتظنُّ الغدَ يأتي بغيرِ ما أَشْجانا

٦) مَلّتْ العينُ ما تَرى من شجونٍ
وأصمتْ شُجونُنا الآذانا

٧) قد عَرَفْنا الدّاءَ العضالَ، فهل تَعْرفُ
في بُرءِ دائِنا اطمئنانا

(١) نوح العندليب (٣٩٠).

(٢) المجلة العربية – العدد (١-٣) – ١٣٩٦هـ – ١٣٩٧هـ (٥٥- ٥٦).

٨) ليسَ شُــؤماً مــا يــسكبُ القلــبُ إنّــي

لا أرى الـــشّؤمَ للحيـــاةِ ضَـــمانا

٩) نَفَثــاتٌ فاضــتْ علــى القلــبِ حتّــى

غَلْغَلَــتْ فــي شــغافِه فَيْــضانا

(تصويب وإيضاحات وإضافات)

١) قصيدة نوح العندليب[١]

هي أولُّ قصيدةٍ في الدّيوان بعد فاتحتِه، وقد وردَ في المصادرِ الصّحفيّة رواياتٌ لبعضِ أبياتِها تخالفُ المُثْبَتَ في الدّيوان، وهي:

١- في الدّيوان: وإنْ قيَّدَ الــوزنُ أفكــارَهم

لقــد أطلــقَ الــسّجعُ أوزانَــه

في الفيحاء والمعرض والزّهراء والثّقافة والحديقة[٢]:

وإنْ قيَّــدَ الــوزنُ أفكــارَهم

لقــد أطلــقَ الــشّدوُ أوزانَــه

٢- في الدّيوان: فهل شطّ عن وكنِه جــارُه

فــودّعَ بــالنّوحِ جيرانَــه

(١) الفيحاء – (دمشق) – العــدد (٤٣) الجمعــة ١٣٤٢/١٠/٢٦هـــ – ٣٠ مــايس ١٩٢٤م، (٥) والزهراء – محرم ١٣٤٥هـ ص ٥٦ – والمعرض – بيروت – السنة (٦) العدد (٥٢١) الأحد ٢٦ آب – ١٩٢٦م (٤). – والحديقة العدد (٣) ١/ أبريــل ١٩٢٩م (٢٢٢) والثقافــة (مدحــة عكاش) العدد (١-٢) ١/ يناير ١٩٨٩ (ص٥٦).

(٢) نفس المرجع.

في الزّهراء والمعرض والحديقة:

فهل شطّ عن وكرِه جارُه

في الفيحاء والزّهراء والمعرض والحديقة:

فأصبح يندبُ جيرانَه:

٣- في الـديوان: أم البَـازُ أَوْدَى بخُلّانِـه

فأصـــــبحَ يَنْـــــدِبُ خُلّانَـــــه

في الفيحاء والزّهراء والمعرض والحديقـة:

فـــــودّعَ بـــــالنّوحِ خُلّانَـــــه

٤- في الدّيوان: فيالكَ من مُمْعِنٍ في الحَنين

أَلَـــمْ يـــشهدِ النّـــاسُ تَحْنانَـــه

في الفيحاء والزّهراء والمعرض والحديقـة

ألـــمْ يـــشهدِ النّـــاسُ إمعانَـــه

٢) قصيدة فتيان قريش – وردت فـي الـدّيوان (١٨) ١ـــ يـستدركُ عليها بيتان بعد البيت الثـانيَ عـشرَ، وردا فـي صـحيفة القِبلـة، وهما: (١)

نَزَعْنـــا الـــضّلالاتِ مـــن أصـــلِها

وقـــد رأت العـــينُ بُطلانَهـــا

(1) القبلة السنة (٣)- العدد (٢٤٩) الاثنين ١٨/٤/١٣٣٧هـ ص٢.

ضَـــــلَالاتِ نَفْـــــسٍ إذا مـــــا انجلـــــتْ

حَمَيْنـــــــــا الرُّبـــــــــوعَ وســـــــــكّانَها

ووردَ مطلعُ القصيدةِ في الصّحيفة:

مروجَ الشّآمِ وغيطانَها

بدلاً من برواية الدّيوان: مروجَ دمشقَ وغيطانَها

وورد البيت الثاني في الصّحيفة: تُنَاغِي الورودَ وأغصانَها

بدلاً من: تُنَاغي الجِنانَ وأغصانَها

٣) قصيدة الحرية (الدّيوان ص٤١)

وقعَ خطأٌ في البيت الثاني الذي جاء على النّحو الآتي:

وورد البيت الثاني في الصّحيفة: تُنَـــاغِي الـــورودَ وأغـــصانَها

تَجَهَّـــــز الـــــدّهُر لإقلالِهـــــا

مـــــا جمـــــدتْ فـــــي ليلـــــةٍ دَهْرَهـــــا

والصّواب كما في الزّهراء، ومجلة المجمع العلمي العربي والحديقة[1]:

تَجَّهَـــــــزَ الـــــــدّهرُ لإقلاقِهـــــــا

مـــــا حَمَـــــدَتْ فـــــي ليلـــــةٍ دهرَهـــــا

(1) الزهراء – صفر ١٣٤٥هـ ص١٢٤ ومجلة المجمع العلمي العربي – دمشق – العـدد (١) ١/ يناير ١٩٢٢م ص٣٢ والحديقة – العدد (٣) ص٢٦٦ – ١/ ابريل ١٩٢٩م.

٤) قصيدة بطولات العرب (الدّيوان ص ٨٧)

جاء البيت الآتي بهذه الرّواية:

لــــولا ســــيوفُ بنـــــي حَمْـــدانَ فـــي حلَـــبٍ

مـــــا امتـــــدَّ للعُـــــربِ تـــــاريخٌ ولا علَـــــمُ

وفي كتاب مهرجان الشّعر الأول وفي مجلة الثقافة[١] وردَ البيتُ هكذا:

لــــولا جهـــادُ بنـــــي حمـــــدانَ فـــــي حلـــــبٍ

مـــــا كـــــان للعُـــــربِ تـــــاريخٌ ولا علَـــــمُ

٥) قصيدة (المرأة في الشّعر)[٢] (الدّيوان ص١١١)

أ- في الدّيوان وردَ المطلعُ بهذه الرواية:

هـــــاكِ القـــــريضَ فهـــــزي ســـــلكَه هـــــاكِ

نـــاجِي الّـــذي فـــي ســـوادِ اللّيـــلِ ناجـــاكِ

وفي مجلة المجمع العلمي العربي، وفي مجلة العروس:

أطوي الدُّجى فتضيءُ اللّيلَ عينـــاكِ

هـــلْ لمحـــةُ البـــرقِ إلّـــا مـــن ثنايـــاكِ

(١) كتاب مهرجان الشعر الأول – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٥٩ ص١٨ ومجلة الثقافة (مدحة عكاش) العدد (١) ١- يناير ١٩٥٩م ص٩.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي- العدد (٢) (١) فبراير ١٩٢٢ م٦٤، وعنوانها: لو علموك ــ وفي مجلة العروس (ماري عجمي). ــ دمشق ــ الجزء الثالث ــ حزيران ١٩٢٢م ص٦٠.

ب- سقط من القصيدة بيتٌ أثبَتَتْه مجلة العروس، وهو قوله بعد البيتِ الرابعَ عشرَ:

أدعوكِ للـوطنِ المنكـودِ طالعُـه

حاشـاكِ أنْ تُهملِيـه اليـومَ حاشـاكِ

٦) قصيدة بغداد الديوان (٢٧٩) سقط بيت قبل آخر بيت فيها، وهو قوله: [١]

يُحْيِي العـراقُ رجـالَ الفـضلِ إنْ

والـشّامُ تقتـلُ أهـلَ الفـضلِ أو تَئِـدُ

٧) قصيدة الشهيد الديوان (٣٤٨)، سقطَ منها عدّةَ أبيـات، أَثْبَتتهـا مجلـة الثقافة، والميثاء: الأرضُ السّهلةُ المنبتةُ، منها بيت بعد البيـت الثـاني، وهو قوله:

كذبَ الدّمعُ ما وَفَى حقَّـه الدّمْـ

ـعُ، ولـو مـاجَ بالخُـدودِ نَـضِيدا

وسقطَ بعدَ البيتِ الخامسِ بيتانِ، هما:

غيـر أنّ العـدوَّ قـد مَـلأ الأَرْ

ضَ أَذَاهُ واسـتفرغَ المَجهـودا

حَسِبَ الأرضَ مُلْكَـه فمـشَى فـي

جَانِبَيهـا يَمُـدُّ ظلّـاً مَديـدا

(١) الشعر الحديث في الإقليم السوري ود- سامي الدهان -جامعة الدول العربية ١٩٦٠م (٢٣٠)

وسقطَ بعدَ البيتِ الثالثَ عشرَ قولُه:

لو حَـشَدْنا الـدّنيا لـذِكرى شـهيدٍ

لاسْـتقلّتْ ذِكـرى الـشّهيدِ الحُـشودا

وسقطَ بعدَ البيتِ الرابعِ والعشرينَ قولُه:

فَهنيئـاً لنـا جِهـادُك، جَاهـدْ

ـتَ شَـديداً، فَفِـزتَ فَـوزاً شَـديدا

٨) قصيدة الترحيب بحافظ إبراهيم الديوان (٣٧٦ص) وَرَدَ خطأٌ في قولِه:

يا حافظَ الشّعْرِ في ميناءَ مُخـصبةٍ

مـن البيـانِ سـقاها مـاءُ سَـحبانِ

وصوابُ البيتِ كما وردَ في كتابِ(ذكرى الشّاعرين)[١]

يا حافظَ الشّعرِ في ميثاءَ مُخْـصِبَةٍ

والميثاء: الأرضُ الـسّهلةُ المنبتـةُ

٩) قصيدة (بلابل دوح) وردتْ في مجلة الإخاء الإيرانيـة، وصـدّرَتها بقولِها:

" قرأ الشّاعرُ السوريُّ الكبيرُ شفيقُ جبري قصيدةَ صديقِه بدويّ الجبـل

(١) ذكرى الشاعرين (شاعر النيل وأمير الشعراء) دراسات ومراث ومقارنات- جمع أحمد عبيـد- المكتبة العربية بدمشق ــ الطبعة الأولى ص١٩١.

الّتي نشرتْها في عددِها (٤)، فأرسلَ إليهِ على الأثرِ من مقرّهِ في جنيفَ هذهِ القصيدةَ، وعنوانُها: بلابلُ دَوحٍ"[١]

سَلِ الشّامَ من غَنَّى حِمَاها فأطربا

ومَنْ راحَ يَسقِيها الشّرابَ المُطَيّبا

وفي القصيدةِ بيتٌ اختلفتْ روايتُه عمّا أثبتَه د. عبدالله الرّشيد، وهو قولُه:

مَواكبُ ملءُ الدّهرِ عجَّتْ عَجِيجُها

قلم يُبقِ منها الدّهرُ للعينِ مَوكبا

وروايةُ مجلةِ الإخاء:

مواكبُ ملءُ الدّهرِ أَجَّتْ أَجِيْجُها

وأضافتِ المجلةُ أنّ بدويَّ الجبلِ أجابَ على هذهِ القصيدةِ بأخرى، عنوانها: (حنينُ الغريبِ)، وقد نَظمَها على ضِفّةِ بحيرةِ (ليمانَ) في جنيفَ، وأهداها إليه، ومطلعُها:

وفاءٌ كمُزنِ الغُوطتينِ كريمُ

وحُبٌّ كنَعماءِ الشّامِ قديمُ

(١) مجلة الإخاء العدد (٤٧) السنة الرابعة ١٣٨٣/٨/١٥هـ ١/ كانون الثاني ١٩٦٤م (١٢) وقد ذكرها د. عبدالله الرشيد في فصل فائت الديوان، دون أن يعزوها إلى مَصْدرٍ (٢) ديوان بدوي الجبل ص ١٨٠.

الخاتمة:

هذا ما تمّ العثورُ عليهِ من فوائتِ ديوانِ شفيق جبري، ولَعَــلَّ مواصــلةَ البحثِ في الصّحافةِ القديمةِ تُخرجُ لنا كثيراً من قصائدِ الشّعراءِ الّذينَ لم يَعتنُــوا كثيراً بِجَمْعِ شِعْرِهِم، أو أنّهم تعمّدُوا إِخفاءَها لظروفٍ مختلفةٍ، وتلكَ القصائدُ قــد تُفْصِحُ عن بعضِ المواقفِ السياسيّة لبعضِ الشّعراءِ، ولا ضيرَ في ذلكَ، فالشّاعرُ يتأثّرُ بمحيطِه، ويتأثّرُ بالإعلامِ، وتقلُّباتِ الأيّام. ولعلّ جامعَ الدّيوانِ يضيفُ إليــهِ ما وَرَدَ في هذا المُستدركِ إنْ أُعيْدتْ طباعتُه.

فهرس المراجع

أولاً: الكتب:

١) ديوان بدوي الجبل- دار العودة- بيروت ١٩٧٨م.

٢) ذكرى الشّاعرين- (شاعر النيل وأمير الشعراء)- دراسات ومراث ومقارنات- جمع أحمد عبيد- المكتبة العربية- دمشق- الطبعة الأولى.

٣) ذكريات- علي الطنطاوي- دار المنارة- جدة- الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٤) رجل الصناعتين- شفيق جبري- دـ عبدالله بن سليم الرشيد- مكتبة التوبة- الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٥) الشعر الحديث في الإقليم السوري- د. سامي الدهان- جامعة الدول العربية- ١٩٦٠م.

٦) الشعراء الأعلام في سورية- دـ سامي الدهان ـ دار الأنوار- بيروت- الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

٧) شفيق جبري (شاعر الشام)- عبداللطيف الأرناؤوط- دار عكرمة- دمشق الطبعة الأولى ١٩٩٨م-

٨) مهرجان الشعر الأول- المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية- ١٩٥٩م.

٩) نوح العندليب- شفيق جبري- إعداد وشرح قدري الحكيم- مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق.

ثانياً: الصحف والمجلات:

١) الإخاء (إيران)- العدد (٤٧) السنة (٤) ١٣٨٣/٨/١٥هـ ١ كانون الثاني ١٩٦٤م.

٢) الثقافة (دمشق)- مدحة عكاش- العدد (١ـ٢) ١ يناير ١٩٥٩م.

٣) الثقافة (دمشق) مدحة عكاش- العدد (٣١) ١- مارس ١٩٧٨م.

٤) الثقافة (دمشق) مدحة عكاش- العدد (٢) ١- فبراير ١٩٧٩م.

٥) الجامعة الإسلامية (يافا) سليمان التاجي الفاروقي ـ السنة الثانية- العدد (٦٠٨) الثلاثاء ١٣٥٣/٥/٤هـ- ٢٤- آب ١٩٣٤م.

٦) الحديقة- العدد (٣) أبريل ١٩٢٩.

٧) الزهراء- جمادى الثانية ١٣٤٤هـ.

٨) الفيحاء (دمشق)- السنة الثانية- العدد (٦٦) الجمعة ١٣٤٣/٤/١٧هـ تشرين الثاني ١٩٢٤م.

٩) القبلة (مكة)- السنة (٣) العدد (٢٤٩) الاثنين ١٣٣٧/٤/١٨هـ.

١٠) مجلة المجمع العلمي العربي- دمشق العدد (١) ١يناير ١٩٢٢م.

١١) المعرض- العدد (٤٧٢) الأحد ٢٨ شباط ١٩٢٦م.

١٢) الهلال- العدد (٢)- السنة الحادية والثمانون- فبراير ١٩٧٣م ١٣٩٢/١٢/٢٨هـ.